البحث الرابع عشر

منهج سماحة الشيخ

أبي الحسن علي الندوي للدعوة

الدكتور محمد اجتباء الندوي (*)

(*) الدكتور محمد اجتباء الندوي، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية والفارسية بجامعة الله أباد بالهند سابقاً، ورئيس المركز العلمي - بنيودلهي - الهند.

obeikandl.com

obeikandl.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين، وبعد:

حضرات السادة الأكارم والأساتذة الأفاضل، والإخوة الأعزاء:

سماحة شيخنا الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي حفظه الله تعالى، ينتمي إلى أسرة إسلامية كريمة، مثّلت دوراً تاريخياً مميزاً حيوياً في التاريخ الإسلامي المشرق الوضّاء في الهند، في بثّ الدعوة والعقيدة والتربية والتزكية، وصُنع رجال وفتيان ونساء وفتيات قاموا بنشر العلم والثقافة، والوعي والفكر والمعرفة، وبرفع علم الجهاد وإنشاء دولة إسلامية قويمة على منهاج النبوة والخلافة الراشدة في شمال غرب الهند [١]، وبالحفاظ على كيان الإسلام وقيمه الدينية والخلقية والاجتماعية، وإرساء أسسها في الهند.

من أبرز أعلام الأسرة الحسنية هذه الشيخ علم الله الحسني جدّ الأسرة، والإمام الشهيد أحمد بن عرفان، والعلامة المؤرخ الشيخ عبد الحي الحسني الرئيس الأسبق لندوة العلماء، وشقيق سماحة شيخنا الدكتور عبد العلي الحسني رئيس ندوة العلماء السابق رحمهم الله جميعاً، وقد ذكر سماحة الشيخ هذا في حياته الشخصية:

«قد بارك الله تعالى في ذرية الأمير قطب الدين [٢]، وتقبلها بقبول حسن، ونفع بها المسلمين، وكثر فيها علماء ومربون، ودعاة إلى الله ومجاهدون في سبيل الله، تبنوا الدعوة الإسلامية، وقادوا الحركات الدينية في أزمان مختلفة، كان أشهرهم في القرن الحادي عشر الهجري العارف الكبير والمربي العظيم السيد علم الله بن السيد فضيل الحسني (١٠٩٦هـ) مؤسس الأسرة

(١) كان قائدهم الإمام الشهيد أحمد بن عرفان رحمه الله.

(٢) أول من جاء إلى الهند من هذه الأسرة، راجع للتفصيل كتاب سماحة الشيخ: الإمام الذي لم يوف حقه، وإذا هبت ريح الإيمان.

الحسنية ومنشئ المركز الديني التربوي الكبير في «راي بريلي» في آخر القرن الحادي عشر الهجري، التي لا تزال موطن هذه الأسرة الرئيسي الأكبر في شبه القارة الهندية، وكثر في ذريته العلماء والمربون الذين دعوا إلى العقيدة الصحيحة، والتمسك بالسنّة السنيّة، والربانية الصافية، وإعلاء كلمة الله، وإدالة الدين والمسلمين من القوات المحاربة للإسلام والشريعة المطهرة» [١].

ولد سماحة الشيخ الندوي ونشأ في هذه الأسرة الكريمة، التي احتفظت بتقاليدها وتمسكت برسالتها التي أتت بها من مهد الإسلام ومركزه، وترعرع بين أحضان أبوين نبيلين متّسمين بسمات الدين والعلم والوعي الفكري والتربوي، والدعوة إلى الله، فأصغت أذناه منذ صباه، ونعومة أظفاره إلى تلاوة القرآن الكريم، وأحاديث الرسول وسيرته الطاهرة، وغزواته ﷺ، وترجمة فتوح الشام (صمصام الإسلام) [٢] ويقول أيضاً:

«يطلعنا تاريخ الأسرة القديم والمعاصر على حقيقة لها شأنها، وهي أن هذه الأسرة منذ قدومها إلى الهند (وقد تم ذلك بورود الأمير السيد قطب الدين محمد المدني مؤسس هذه الأسرة في الهند في أوائل القرن السابع الهجري كما مر) إلى عهدنا هذا، لم تزل متمسكة بعقيدة التوحيد الخالص، بعيدة عن الأعمال الشركية، متجنبة للبدع والمحدثات، مصونة من تأثير العقائد الشيعية. وكانت الدعوة إلى التوحيد واتباع السنة المطهرة شعارها الدائم وميزتها البارزة» [٣].

وهكذا كانت الأسرة قائمة منذ القدم على التمسك بالدين، والدعوة إلى الله والتحمس لها، والنهل من مناهل العلم ومنابع الثقافة والمعرفة، فتقوم بالتأليف وإصدار كتب ورسائل تهتم بالعلم ونشر الدين والدعوة:

---

(١) في مسيرة الحياة ج١ ص ٢٤ .

(٢) في مسيرة الحياة ج١ ص ٧٢-٧٣ .

(٣) في مسيرة الحياة ج١ ص ٢٤.

«ولم تزل أسرتنا أسرة العلماء والمؤلفين، فقد كان الوالد من كبار المؤلفين في عصره، وللبيئة والوراثة تأثير كبير لا ينكر، ولا يزال ينتقل هذا التأثير من جيل إلى جيل، ويطبع الصغار والكبار والبنين والبنات بطابعه في قليل أو كثير، فكان الطابع الوراثي، وذوق الوالد وانهماكه في الكتب كغاشية أو سحابة تغشى المحيط المنزلي وتظلل على الأسرة كلها، وقد تجاوز هذا التذوق إلى الحب الشديد للقراءة وإدمانها، بل إلى حد أن أصبح هواية، فما أن وقع بصرنا على كتاب مطبوع إلا تلقفناه وأتينا عليه قراءة ومطالعة، وكل ما يقع بأيدينا من النقود لمصروفاتنا الصغيرة، أو إذا زرنا أحد الأقرباء وأهدى إلينا عند عودته شيئاً من الروبيات -كما كانت العادة في الأسرة إذ ذاك- فكان أحب مصرف لدينا لهذه النقود شراء الكتب»[١].

وقد نوّه الشيخ بدور أسرته في تربيته، فقال في سيرة حياته:

«كنت لتأثيرات الأسرة والبيئة والانتماء إلى مدرسة السيد الإمام أحمد ابن عرفان الشهيد رزقت حظاً لا بأس به من الغيرة الدينية والحميّة الإسلامية، وقد رسخ في نفسي -نظرياً وإن لم يكن عملياً- وأصبح جزءاً من عقلي وضميري أن التكبير المدوي في الآفاق، والنضال العملي لإعلاء كلمة الله، أفضل من كثير من نوافل الطاعات الصامتة، والتسبيح والابتهالات الشخصية في عزلة عن واقع الأمة»[٢].

وهكذا نشأ شيخنا على حب الدعوة متسلحاً بالعلم والمعرفة القويمة الصحيحة وفيه يقول فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي: «العالم الرباني الإسلامي المحمدي العالمي»[٣] ثم أوضح كل لفظ من الألفاظ الخمسة

(١) المصدر السابق ص ٥٦.
(٢) في مسيرة الحياة ج١ ص ١٥٩-١٦٠.
(٣) قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ص ٢٥-٢٨ .

بتفصيل، فأحسن وأجاد. وكان شيخنا داعية في كل ميدان من ميادين الحياة، سواء كان معلماً في دار العلوم لندوة العلماء يدرس التفسير والتاريخ والأدب، أم كان كاتباً ورئيس تحرير مجلة وصحيفة، أو مؤلفاً لكتب ورسائل تربو على مائتين، أو سائحاً في الشرق الأوسط والبلاد الإسلامية والعالم بأسره، أو عضواً مؤسساً للمجلس التنفيذي للرابطة أو الجامعات أو مشاركاً في المؤتمرات والندوات الإسلامية والعلمية والأدبية، أو داعياً إلى إنشاء رابطة عالمية للأدب الإسلامي، فهو داعية واعٍ حكيم محنك في كل هذه المجالات، يتقد فكره علماً وثقافة وحضارة، ويتحرق قلبه حزناً وأسى على ما صار إليه المسلمون من حالة يرثى لها، فخسر العالم بانحطاطهم وذلهم وخذلانهم، وجعل واجبهم المقدس وتراثهم العظيم الضخم مهجوراً، ويستضيء في كل لحظة من لحظات دعوته بالقرآن الكريم، وبنور رسالة محمد ﷺ، ويؤمن بقوة، ويدعو بقوة إلى التمسك بالإسلام، والإيمان بالله والإيمان بالنبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، ويدعو الناس جميعاً والعالم العربي بخاصة فيقول:

«فالإسلام هو قومية العالم العربي، ومحمد هو روح العالم العربي وإمامه وقائده، والإيمان هو قوة العالم العربي التي حارب بها العالم البشري كله، فانتصر عليه، وهو قوته وسلاحه اليوم كما كان بالأمس، به يقهر أعداءه، ويحفظ كيانه، ويؤدي رسالته، إن العالم العربي لا يستطيع أن يحارب الصهيونية أو الشيوعية أو عدواً آخر بالمال الذي ترضخه بريطانيا، أو تتصدق به أمريكا، أو تعطيه مقابل ما تأخذ من أرضه من الذهب الأسود، إنما يحارب عدوه بالإيمان والقوة المعنوية، وبالروح التي حارب بها الدولة الرومية والإمبراطورية الفارسية في ساعة واحدة فانتصر عليهما جميعاً، إنه لا يستطيع أن يحارب أعداءه بقلب يحب الحياة ويكره الموت، وبجسم يميل إلى

الدّعه والراحة، وعقل يخامره الشك، وتتنازع فيه الأفكار والأهواء، أو بيد مضطربة وقلب متشكك ضعيف الإيمان، وقوة متخاذلة في الميدان» [١].

وفي ضوء هذه الدراسات والتجارب والممارسات والأفكار النيّرة الصافية الشفافة وضع منهجاً أفضل للدعوة والإصلاح بحكمة وحنكة ومعرفة وعلم، واختار أسلوبين: الخطب والمحاضرات في الأوساط العلمية والعامة، والكتابة والتأليف وتحرير الكتب والرسائل [٢]، وكان شعار دعوته «إلى الإسلام من جديد» فخاطب عقول الرجال والنساء والأطفال، وشحن قلوبهم بنور العقيدة وجذوة الإيمان، وابتكر ضرب أمثلة وتقديم نماذج للدعوة، فوجه الأنظار والقلوب، ولتربيتها تربية قويمة، وتوعيتها توعية ناضجة قام بإلقاء أضواء ساطعة على العقيدة والعبادة والسلوك، والتاريخ والأدب، والبيان ببراهين من الكتاب والسنّة والسيرة النبوية وحياة الصحابة رضي الله عنهم، ونماذج عملية رائعة من دعوة أعلام ورجال الفكر والدعوة في الإسلام، وتمثلت حياته وسيرته هو قدوة صالحة لما يدعو إليه ولمن يوجه الدعوة، وكان منهج الدعوة مقتبساً من القرآن الكريم، ثم من الحديث ومن السيرة النبوية، ومن ربّاهم النبي الكريم ﷺ كما ذكرنا. يقول سماحته عن الدعوة:

«أمّا الدعوة فأمرها بعيد وساحتها واسعة جداً، ولها مساحة زمانية، ومساحة مكانية، وكلتاهما واسعتان، أما المساحة الزمانية فهي تمتد من مصدر الدعوة - إذا كان نبياً، وإذا كان مؤسس دعوة كبيرة إلى ما لا نهاية له ، كذلك لها مساحة مكانية واسعة، فقد يكون الداعي في الشرق وقد يكون في الغرب، وقد ينتقل الداعي من الشرق إلى الغرب، فإذا كان قد تمرن على طبيعة الشرق فإنه لا يستطيع أن يقوم بمهمته في الغرب» [١].

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (الطبعة السابعة) ص ٢٨٠-٢٨١.

(٢) مقدمة «روائع من أدب الدعوة» لفضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ص٦-٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣.

سار سماحة الشيخ على هذا المنهج في الدعوة، وسلك طريق الأنبياء وبخاصة أسلوب سيدنا إبراهيم وموسى ويوسف عليهم السلام، وسيدنا محمد النبي العربي الكريم ﷺ، واصطنع لنفسه نماذج من دعوتهم في حياته واختار أسلوبهم ومنهج دعوتهم فقد قال عن القرآن الكريم:

«إن القرآن هو كتاب هداية ودعوة قبل أن يكون كتاب أحكام وشريعة -مع إجلالنا وتقديرنا للأحكام والشريعة- إن الأحكام والشريعة لا غنى عنها، ولكن القضية، قضية الأولية، قضية الطابع الغالب، وقضية الغاية التي يدور حولها القرآن، فأنا أعتقد - في ضوء دراستي القاصرة المحدودة- أن القرآن هو كتاب هداية ودعوة قبل أن يكون كتاب أحكام وشريعة، لأن الهداية هي الأساس للإيمان والدعوة هي الأساس لنقل هذا الإيمان، فإذا كان هذا هو الشأن، فلا شكّ في أن القرآن هو كتاب هداية ودعوة قبل أن يكون كتاب شيء آخر» .

وتساءل سماحة الشيخ حفظه الله: «هل هناك قوانين مرسومة وأحكام مضبوطة للدعوة؟» وأجاب بنفسه:

«إنني أعتقد أن الدعوة لا يمكن أن تخضع لقوانين مرسومة وأحكام مضبوطة، لأن الدعوة تعتمد على المحيط، وعلى الظروف، وعلى البيئة، وعلى الجو والملابسات».

ولكن يجب أن يكون الداعية حكيماً واعياً مدركاً للظروف والأحوال والواقع، وذكر حكاية لطيفة للسيد وخادمه الذي وضع له قائمة لأعماله، فوقع في أزمة كادت أن تأتي عليه. وتمثّل بشعر عربي في هذا الصدد:

إذا كنت في حاجة مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصه

ثم يقول:

«فكان من إعجاز القرآن أنه لم يتعرض لأحكام تفصيلية في موضوع الدعوة، وإنما وكلها إلى العقل السليم، وإلى الذوق المستقيم، وإلى العقيدة الراسخة، والفكرة المتغلغلة في الأحشاء، ثم حاطها بسياج واسع، هو السياج الوحيد الذي يستطيع أن يحيط بالدعوة وهو قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1] تشعرون بمدى أبعاد الإطلاق الذي جاء في هذه الآية، وأبعاد التقييد الذي جاء فيها» ويذكر بعد أن يفسر هذه الآية تفسيراً بيناً:

«وقد جاءت هذه الآية في سياق الآيات التي تتحدث عن أكبر داع من الأنبياء قبل الرسول ﷺ، وهو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقال:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

ثم يقول: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ فلهذه الآية صلة خاصة بدعوة سيدنا إبراهيم، هنالك خيط يربط بين سيدنا إبراهيم وبين أمر الدعوة، إن ورود هذه الآية في سياق الحديث عن سيدنا إبراهيم يدل على أن سيدنا إبراهيم، كان آخذاً بهذا الطريق، ملتزماً لهذا الأدب وكانت دعوته مؤسسة على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن»[3].

ولم يكتف سماحة شيخنا الكريم في نهج دعوته بنماذج مؤثرة بديعة من سير أربعة من كبار الرسل عليهم السلام، بل عرض مثالاً آخر من القرآن

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.
(٢) سورة النحل الآيات ١٢٠-١٢٣.
(٣) روائع من أدب الدعوة ص١٦.

الكريم هو مؤمن من آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ (١)، وعرض نموذج دعوة سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ وابن عمه، بين يدي النجاشي في الحبشة بكلام رائع بليغ ثم قال:

«يبدو للقارئ الذي يقرأ ما أجاب به جعفر في مجلس النجاشي لأول وهلة أنه حديث بسيط مرتجل، تحدث به جعفر، ولا يتوقع من عربي نشأ في محيط ضيق منعزل عن العالم، بعيد عن الثقافة والأساليب السياسية، أكثر من ذلك.

ولكنه كلام حكيم قد جاء في أوانه ومكانه، وقد دل على بلاغة صاحبه العقلية، قبل أن يدل على بلاغته العربية البيانية، ولا يعلل ذلك إلا بإلهام من الله، وتأييد هذا الدين الذي أراد الله أن يتم نوره، وأن يظهر على كل دين، ويدل على سلامة الفطرة، ورجاحة العقل اللتين فاق فيهما بنو هاشم قريشاً، وفاقت فيهما قريش العرب كلهم، فقد فضل جعفر أن يكون جوابه حكاية حال لما كان عليه أهل الجاهلية في الجزيرة العربية، ولما آل إليه أمرهم بعدما أرسل الله رسوله فيهم، ودعا إلى الله وإلى الدين الحنيفي السمح، ومكارم الأخلاق، وآمنوا به واتبعوه، وحكاية حال - خصوصاً إذا لم يجانب فيه صاحبها الصواب - أبعد شيء عن المناقشة والمناظرة، وأقدر شيء على غرس المعاني المقصودة، وتحقيق الأهداف المنشودة، والتهيؤ للتأمل والإنصاف، وحسن الاستماع» (٢). عرض القرآن الكريم نماذج للدعوة لغير الأنبياء كي لا يتطرق إلى العقول ويتسرب إلى القلوب بأننا «كيف نقلدهم وكيف نستطيع أن نترسم خطاهم، فعرض القرآن نموذجاً لإنسان لم يكن نبياً».

وأتى سماحة الشيخ حفظه الله بنموذج للدعوة ابتكر عرضه، وأبدع في تمثيله، وركّز عليه تركيزاً قوياً ليصبح خطة للدعاة، ورسماً للمجاهدين والمناضلين،

(١) سورة غافر الآية ٢٨.
(٢) روائع من أدب الدعوة ص١٢٢-١٢٣.

وأسوة للقادة والزعماء، وقدوة للمسلمين، وهو نموذج دعوة سيدنا ربعي بن عامر رضي الله عنه، الذي دعا قائد فارس العظيم إلى الله عزّ وجلّ بقوة الفتيان، وجراءة الأبطال، وفي ذلك يقول فضيلة العلامة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي:

«لقد وجدنا في رسائل الشيخ لغة جديدة، وروحاً جديدة، والتفاتاً إلى أشياء لم نكن نلتفت إليها، إن رسائل الشيخ هي التي لفتت النظر إلى موقف ربعي بن عامر رضي الله عنه بين رستم قائد الفرس وكلماته البليغة له، التي لخصت فلسفة الإسلام في كلمات قلائل، وعبّرت عن أهدافه بوضوح بليغ، وإيجاز رائع: إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. أبو الحسن الندوي -فيما أعلم- هو أول من نبهنا إلى قيمة هذا الموقف، وهذه الكلمات، ثم تناقلها الكاتبون بعد ذلك وانتشرت»[١].

واستطاع الشيخ بعد دراسات وتجارب أن يقدم منهجاً للدعوة يقوم على التركيز على وصول الإيمان إلى الحكام، وتبنيهم لقضية الإسلام، بدل التركيز على وصول جماعة مؤمنة إلى كراسي الحكم [٢] ويقول عن ضرورة كون الصحوة الإسلامية إيجابية:

«يجب أن لا تكون هذه الحركة سلبية محضة تسرع إلى مجابهة الحكومات والطاقات ذات القوى والوسائل، وتُحدث لها مشكلات وعراقيل في الخطوة الأولى، فتضيع بذلك كثيراً من طاقاتها وأوقاتها، وتشيء لها أعداء، وقد نجاهد في غير جهاد وفي غير عدو، بل يجب أن تكون إيجابية أكثر منها سلبية، وتفضل العمل بمبدأ إيصال الإيمان إلى أصحاب الكراسي وحملهم راية الإسلام، وتطبيق النظام الإسلامي بأنفسهم، على مبدأ إيصال أصحاب الإيمان وأعضاء حركة

(١) قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ص٣٧.
(٢) نفحات الإيمان ص ١٠.

إصلاحية خاصة إلى الكراسي، واحتكار عمل تطبيق النظام الإسلامي، وقلب أوضاع المجتمع لأفراد جماعة خاصة، ودعاة مخصوصين» [١].

وقد اقتبس سماحة الشيخ هذه الفكرة من تجربة العمل الدعوي للإمام أحمد السرهندي في الهند الناجحة الذي قلب الأوضاع الخطيرة المنذرة بالقضاء على الإسلام، زمن حكم الامبراطور جلال الدين أكبر، إلى أوضاع سليمة مبشرة بالخير والطمأنينة، بحيث اعتلى عرش الطاووس ملك مسلم ملتزم صالح أورنك زيب عالمكير الذي يعتبر (يُعدُّ) سادس الخلفاء الراشدين، فيقول:

«ولم أجد في دراستي لتاريخ الإصلاح والتجديد في الإسلام، مجهوداً تحقق له من النجاح، ومصلحاً تمكن من قلب الأوضاع، وتغيير مجرى التاريخ وإرغامه على أن ينحو نحواً جديداً، مثل ما تحقق للإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي (م١٠٣٤هـ)» وخص له سماحة الشيخ جزءاً مستقلاً في كتابه «رجال الفكر الدعوة في الإسلام» وذكر الدعوة ومنهجه في رسائل عديدة. أذكر بعض المقتطفات من رسائله ليتضح الموقف والمنهج فيقول:

«قد اتجهت حكومة السلطان جلال الدين أكبر في الهند إلى اللادينية والإلحاد اتجاهاً سافراً، وأراد أكبر - وكان من أكبر الملوك الذين عرفتهم الهند وأقواهم- أن يطمس معالم الإسلام وملامحه الواضحة، وميزاته البارزة، بجميع ما عنده من وسائل ومواهب وطاقات، وقد اجتمع عنده جمع من الأذكياء وذوي الكفاءات النادرة يعينونه على هذا الباطل، ولم يكن هناك ضعف، أو هرم في الدولة يشير إلى زوالها، أو يدل على ثورة يتأجج أوارها، وكان العلم والمنطق والقياس الظاهر لم يكن يصدق أنه سيقع هناك تغيير سار أو تحول بارز في الحكومة والشعب، هنالك قيّض الله أحد عباده للإصلاح

(١) ترشيد الصحوة الإسلامية ص٢٥.

والتجديد، فحمل راية الثورة بمفرده، وبدأ في ثورة داخلية بقوة إيمانه ويقينه وعزمه وتوكله، وروحانيته وإخلاصه، حتى أصبح كل وارث للحكم المغولي أحسن من سابقه، ثم تربع أخيراً على هذا العرش السلطان محيي الدين «أورنغ زيب عالمكير» الملك الفاضل الصالح المجاهد المسلم الغيور، الذي يندر نظيره في تاريخ الحكومات الإسلامية، وكان رائد هذه الثورة المباركة إمام الطريقة المجددية الشيخ أحمد السرهندي» [١] ويقول:

«وذلك لإيثاره الإيجابية على السلبية، وإثارة روح الحميّة الإسلامية، وتحريك الإيمان، في المتسلم لزمام الحكومة ومن حوله من الوزراء ورجال البلاط، وإقناعهم بأنه لا يطمح إلى السيطرة والسيادة، بل لا يحلم بذلك في المنام، ولا من حوله من تلاميذه وأبنائه، وإنما يريد أن تكتب لهم السعادة في حماية الإسلام، وتطبيق أحكامه، وحماية البلاد- التي فتحها آباؤهم لبسط سيطرة الإسلام، وأراقوا في ذلك دماءهم الزكية - من خطر السيطرة البرهمية، والفلسفة الهندوكية والحضارة الجاهلية، فاقتنعوا بذلك وتحول اتجاههم من محاربة الإسلام وطمس معالمه، إلى حماية الإسلام ومحو آثار سيطرة البرهمية والوثنية التي بدت من زمن السلطان جلال الدين أكبر» [٢].

وتحدث عن منهج الإمام السرهندي وطريقته في الإصلاح في رسالة أخرى فقال:

«ولذلك لما بدأ الإمام السرهندي رحلته التجديدية، وكانت أول خطوة خطاها على طريق الأنبياء، وعلى نفس المنهج الذي سار عليه الرسل، هي الخطوة نحو إصلاح العقائد وتصحيح الاتجاه، فقد كان إباؤه عن سجدة

(١) ربانية لا رهبانية ص١٣٧-١٣٨، وترشيد الصحوة الإسلامية ص٢٦-٢٧ .
(٢) ترشيد الصحوة الإسلامية ص٢٧-٢٨ .

التحية أمام السلطان جهانكير ورفضه لهذه البدعة الشنيعة عنواناً لامعاً في تاريخ إصلاحه وتجديده، وقد تناول في رسائله التي وجهها إلى مختلف أصحابه وأتباعه بيان حقيقة التوحيد بأسلوب واضح مبين، وعبارات موجزة جامعة رصينة، وقدم دلائل وبراهين على وحدانية الله تعالى، وأنه هو المستحق للعبادة وحده، بأسلوب يدل على رسوخه وعلو كعبه في هذا العلم، وقام بدحض الشرك ومظاهره وتقاليده، ونهى أصحابه وأتباعه نهياً شديداً عن الأعمال الشركية، والعادات الجاهلية، وتقاليد الكفار من اليهود والنصارى والمشركين، إذ إنه لا بداية لعمل الإصلاح والتجديد إلا به، فضلاً عن نهايته وكماله».

وأخيراً ينوه بنجاح أسلوب دعوة الإمام السرهندي وطريقته ومنهجه الذي أعاد إلى الشعب الهندي المسلم روح الإسلام وفكره وحيويته ونشاطه ويقول:

«وهكذا استطاع أن يعيد إلى الإسلام مركزه من جديد في الهند، ويعيد إلى السنة اعتبارها، ويعيد في المسلمين الثقة بالمصادر الصحيحة وبالكتاب والسنة، وأن يكون للإسلام انتفاضة في الأقطار الإسلامية من شبه القارة الهندية إلى أفغانستان وتركستان، إلى العراق وسوريا وتركيا، وينهض جيل جديد من دعاة الإسلام الصحيح، والعقيدة السليمة البعيدة من شوائب الفلسفات والانحرافات، وتأثير الديانات والحضارات الجاهلية، ونشأت جبهة قوية واعية لمعارضة البدع والمحدثات، ودعوة سافرة إلى العمل بالشريعة المطهرة والسنّة السنيّة البيضاء، وإقبال عام على الإنابة إلى الله وتزكية النفوس، وتهذيب الأخلاق، وتجديد صلة العبودية بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[1].

(١) منهج أفضل في الإصلاح ص ٢٨-٣٢ .

سار سماحته على هذا الدرب مستفيداً من التجربة الناجحة التي فاز بها الإمام أحمد السرهندي في تغيير الوضع وتقرير المصير[١]، ويريد من الدعاة وأعلام الصحوة الإسلامية والجماعات والأحزاب الإسلامية في العالم كله بأن يستفيئوا بنور هذا المنهج، ومن هذا النموذج للدعوة في عصرنا هذا، وفي هذه المرحلة الدقيقة الحاسمة التي يمر بها المسلمون، ويتجنبوا مناهج وطرقاً تؤديهم إلى الصراع والخلاف والتناحر والتشاجر والتحزب والتطرف، ثم إلى إيقاف عجلة الركب لا سمح الله عزّ وجلّ، وكانت أهم محاور الدعوة: المسجد، والمنهج التعليمي، والكتاب، والسلوك الاجتماعي، ويمكن أن يعتبر منهج الشيخ الندوي حفظه الله في الدعوة والبلاغ المبين مدرسة متميزة قائمة بذاتها، بعيدة عن التحزب والتعصب الذي سقط فيه الكثير، تؤثر خلق السماحة، والتيسير على مسالك التشدد والتحرج، عنوانها: الاحتساب والترفع عمّا في أيدي الناس، وهو مستمد من مقولة الأنبياء جميعاً: ﴿**لا أسألكم أجراً إن أجري إلا على الله**﴾، وهي بلا شك من مدارس العمل الإسلامي الجديرة بالدراسة والانتفاع[٢].

- ويقول سماحة الشيخ فيمن يلتزم هذا المنهج في الدعوة:

«أنا أومن بأن الداعية المخلص، لا يكون داعية إلا إذا كان ملهماً مؤيداً من الله، وكان الذين اختار الله للدعوة الإسلامية في الهند أصحاب قلوب رقيقة، بعيدين زاهدين عن قبول الصلات الملوكية، فكانوا يراقبون الدولة ويراقبون اتجاهاتها وميولها، ويرون هل المجتمع الإسلامي إلى خير أم إلى شر، وإلى صلاح أم إلى فساد، وهل هناك اتجاه موافق للإسلام أم معارض للإسلام؟ فإذا كان هناك اتجاه معارض للإسلام جرّوا الحبل من بعيد وباحتياط،

(١) يراجع: منهج أفضل للإصلاح، نفحات الإيمان، المسلمون في الهند، ورجال الفكر والدعوة (الإمام السرهندي).
(٢) كتاب الأمة: فقه الدعوة ص١٦.

وأشاروا على الملك بما هو صالح للعباد والبلاد، وبما فيه تأثير للدين وتقوية للمسلمين، وقد تكون لهم يد خفية في اختيار ملك أو عزل ونصب، فإذا سنحت لهم فرصة لكلمة حق عند سلطان جائر كانوا من أفصح الناس وأشجعهم» (١).

ولذلك لم يكتف سماحة الشيخ بتأليف كتب ورسائل، وإلقاء خطب ومحاضرات وعقد ندوات ومجالس وعظ وإرشاد، وحلقات تدريس وتوجيه، بل راسل الملوك والأمراء ورؤساء الحكومات ورجال الحكم، في الهند والعالم الإسلامي، والبلاد العربية بخاصة، ولفت أنظارهم إلى مواضع الضعف ونقاط التقصير في أمر الإسلام وشريعته، وما يؤدي إلى الفساد والدمار والاضطراب والتفكك والضرر للمسلمين والشعوب، وطالب حكام الجزيرة العربية خاصة أن يكونوا أسوة حسنة، وقدوة صالحة للعالم وللمسلمين، وبعث برسائل إلى جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله ليسترعي انتباهه إلى أخطار داخلية وخارجية، ولخص له بعض النقاط الهامة، فتلقى رداً كريماً منه، ثم أرسل خطاباً إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله جاء فيه:

«إن أخوف ما نخاف على هذه البلاد وعلى العالم الإسلامي هو أن تتجرد هذه البلاد المقدسة والشعب العربي السعودي الكريم، وخاصة جيران البيت الحرام والمسجد النبوي عن شخصيتهم المثالية ومركزهم القيادي، بل عن شخصيتهم الإسلامية، والتنكر لها والاستنكاف عنها، وأن تنشأ بينهم وبين الحرم وما قام له ويقوم فجوة واسعة عميقة لا تردم، ولا يقوم عليها جسر، فيعيش كل واحد منهما في عزلة عن صاحبه، وقد تكون صلة المسلمين في بلاد العجم والآفاقيين أقوى وأعمق من صلة الذين يعيشون في رحاب الحرم

(١) منهج أفضل للإصلاح ص٥-٦.

وظلال الكعبة، وهو خطر، وقد ظهرت طلائعه بتأثير طرق التربية والإعلام، وتدفق الثروة، وتوفر وسائل الترفيه والتسلية توفراً لا يوجد نظيره في بلد إسلامي آخر، وفقدان القدوة الصالحة والنماذج العملية في القناعة والتماسك وسمو النظر، وبسبب ضعف الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأثير المدنية الغربية وقيمها ومثلها من غير نقد وتمحيص، وتأثير الصحف والمجلات الرقيعة والروايات المثيرة للغرائز التي تنصب على هذه المملكة من زمن طويل، رغم جهود الغيارى من المسؤولين، ورغم كراهتكم لها، وتوجيهاتكم السامية إلى مراقبتها، وقد قضى الله أن تكون هذه الجزيرة حرماً للإسلام وحمى له [١].

وكذلك بعث برسائل إلى رؤساء الجمهورية ورؤساء الوزراء في الهند وغيرها دعاهم إلى الصلاح والخير والإنابة إلى الله عزّ وجلّ [٢].

وقد أشار إلى ذلك سعادة الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي رئيس تحرير صحيفة الرائد، بعد أن عرض مفصلاً النقاط المهمة لدعوته، ولعلاج أسباب التناقض والاضطراب الفكري في الشباب، فقال:

«وبهذه النماذج يمكننا أن ندرك خصائص الأسلوب الدعوي لسماحة الشيخ الندوي في مختلف مواضيعه، ونقدر منهجه الفكري، ونعرف معالم الطريق الذي يرشد إليه، وهو أسلوب أخّاذ، ومنهج عملي، ودراسة واقعية، وتعبير وجداني، وتصوير للواقع وبيان مؤثر» [٣].

وقد اعتنى سماحة الإمام الندوي حفظه الله إلى جانب المنهج وأسلوب الدعوة، بالداعية وتربيته، فإن جُلَّ مؤلفاته تحتوي على مواضيع حساسة

(١) كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب ص٦٣-٦٤.
(٢) يراجع: في مسيرة الحياة وأدب الصحوة الإسلامية.
(٣) أدب الصحوة ص٨٣-٨٤.

ومواد غنية ثرية لإعداد الدعاة ورجال العمل الدعوي، فألف عن القرآن الكريم: المدخل إلى الدراسات القرآنية، تأملات في القرآن الكريم، تأملات في سورة الكهف. كما ألّف في الحديث والسنّة والسيرة النبوية، ليتثقف الداعية بثقافة القرآن والحديث والسنة، وكذلك العقيدة والإيمان والسلوك والعبادة، وألّف تاريخ رجال الفكر والدعوة والآداب الإسلامية، وكل ما يكتب ويؤلف يشمل تلك الأهداف والغايات التي يريد أن يصل إليها ويفي بغرض الدعوة، وذلك بتوعية الداعية وتربيته وإعداده من خلال هذه المؤلفات العظيمة الضخمة.

وحدد كذلك السمات البارزة للدعوة والداعية، وجبهاتها الحاسمة ومجالاتها الرئيسية، فالدعوة الإسلامية يجب أن تكون جامعة بين تحريك الإيمان في نفوس المخاطبين والمجتمع الإسلامي وإثارة الشعور الديني، وبين إكمال الوعي وتنميته وتربيته [١]، ويريد من دعاة الإسلام العاملين في مجال الدعوة الإسلامية الاحتفاظ بهذه البقية الباقية من الإيمان في نفوس الشعوب والجماهير، والمحافظة على الجمرة الإيمانية من أن لا تنطفئ [٢].

ويجب أن يكون الداعية مع فقه الدعوة والتوعية الإيمانية العميقة الراسخة واعياً ومقدراً للظروف التي يمر بها المسلمون، والمجتمع الذي يعيش فيه الداعية، ويدرك الحقائق وواقع الحياة، ويعرف جيداً القضايا المعاصرة والحركات والنشاطات والمنظمات والأحزاب المتنوعة، والاتجاهات المعادية، والتيارات والأفكار الهدامة، ويجب أن يعرف حاجات المجتمع ومشاكله، وأزماته وتعقيداته، ويدرك دقة الموقف في المحيط، ويعرف نفسية المخاطب وعقليته، والمكان والزمان اللذين يقوم فيهما بهذه الدعوة الإلهية الربانية [٣].

---

(١) الدعوة إلى الله ص٥.

(٢) ايضاً ص٨.

(٣) يراجع: منهج أفضل وترشيد الصحوة.

وتحدث سماحة إمامنا حفظه الله إلى قادة الصحوة الإسلامية فقال: «يجب أن يتصفوا بشيء من العزوف عن المناصب والرئاسات والحياة الرغيدة الناعمة، ومنافسة أرباب المناصب والجاه فيما وسع الله عليهم في الدنيا، ويتسموا بسمة الزهد والقناعة والتوكل - حسب طاقاتهم، وفي الحدود الشرعية من غير رهبانية وغلو - على قدم السلف الصالح وأصحاب العزيمة»

وكان قد ذكر في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل في تاريخ الإسلام، فلا نعرف أحداً ممن قلب التيار، وغيّر مجرى التاريخ، ونفخ روحاً جديدة في المجتمع الإسلامي أو افتتح عهداً جديداً في تاريخ الإسلام، وخلف تراثاً خالداً في العلم والفكر والدين، وظل قروناً يؤثر في الأفكار والآراء، ويسطر على العلم والأدب، إلا وله نزعة في الزهد وتغلب على الشهوات، وسيطرة على المادة ورجالها، ولعل السر في ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة، والاعتداد بالشخصية والعقيدة، والاستهانة برجال المادة وبصرعى الشهوات وأسرى المعدة، ولذلك ترى كثيراً من العباقرة والنوابغ في الأمم، كانوا زهاداً في الحياة، متمردين على الشهوات، بعيدين عن الملوك والأمراء والأغنياء في زمانهم، ولأن الزهد يثير في النفس كوامن القوة، ويشعل المواهب ويلهب الروح، والدعة أو الرخاوة تبلد الحس، وتنيم النفس وتميت القلب، وقال: إنما هو خلافة للرسول الأعظم ﷺ، وقد قيل له: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1].

وكذلك يجب أن يتصفوا بروح التضحية والبطولة، والجلادة والتقشف، والقدرة على المغامرات، لأنه إذا عدم وجود روح التضحية والبطولة، والاعتداد بالإيمان والشخصية الإسلامية والدعوة الإيمانية فيكون خطراً كبيراً على الدعوات الصحيحة والصحوة الإسلامية، ويجب أن يمثلوا السيرة الإسلامية

(١) طه: ١٣١ .

-المثالية النموذجية- إلى حد الإمكان بكل وضوح وجلاء. وفي البلاد غير المسلمة بصفة خاصة [١].

هذا، وقد تحدث سماحة الشيخ الندوي حفظه الله بل حدد الجبهات الحاسمة والمجالات الرئيسية للدعوة الإسلامية في العصر الحاضر، ويجدر بنا أن نشير - ولو بإيجاز إلى النقاط الهامة التي أوضحها بقوة وجلاء، بعد أن قمنا، بتعريف موجز لمنهج سماحة الشيخ حفظه الله للدعوة، والسمات البارزة للدعوة وصفات الداعية، فقد ألقى سماحة الشيخ الندوي بحثه القيم في الجلسة الأخيرة لمؤتمر الدعوة الإسلامية الكبير الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في صفر عام ١٤٠٨هـ، وكان كاتب هذه الأسطر ممن شارك في المؤتمر مندوباً من قبل الإذاعة السعودية، إذ كان آنذاك عضواً في هيئة الإذاعات الموجهة، وبعد أن انتهى البحث المحتوي على إحدى عشرة نقطة هامة، خاطبني واحد من كبار المفكرين الإسلاميين وقال: يجب أن يكون البحث قرار المؤتمر، ويجب أن يطبع وينشر في العالم الإسلامي كله، وأذكر هنا عناوين النقاط فحسب، وهي كالتالي:

١- تحريك الإيمان في نفوس الشعوب والجماهير المسلمة، وإثارة الشعور الديني فيها، فإن تمسك هذه الشعوب والجماهير بالإسلام وتحمسها له، هو السور القوي العالي الذي يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد، وكثير من القيادات وحكومات العالم الإسلامي في حظيرة الإسلام، وهي مادة الإسلام ورأس ماله، والخامات الكريمة التي تستخدم لأي غاية نبيلة، هي من أقوى المجموعات البشرية وأحسنها سلامة صدر وقوة عاطفة، وإخلاص...

(١) يراجع : ترشيد الصحوة الإسلامية ورجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء الأول.

٢- صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف ومن إخضاعها للتصورات العصرية الغربية، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية، والتجنب عن تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً بحتاً، والمغالاة في «تنظير الإسلام» ووضعه على مستوى الفلسفات العصرية والنظم الإنسانية...

٣- تقوية الصلة الروحية والعقلية والعاطفية بالنبي ﷺ والحب العميق له الذي يؤثره على النفس، والأهل والولد، كما جاء في الحديث الصحيح، والإيمان به كخاتم الرسل، وإمام الكل، ومنير السبل، والحذر من كل العوامل والمؤثرات التي تسبب تجفيف منابع هذا الحب، وإضعافه على الأقل، وتحدث جفافاً في الشعور، وضعفاً في العمل بالسنّة، وتجرؤاً في القول، وانصرافاً عن الافتخار به، والولوع بدراسة سيرته، وكل ما يحرك هذا الحب ويغذيه، ولعل البلاد العربية (بفعل أحداث، ودعوات قومية) أحوج إلى العناية بهذه النقطة، وأحق بها من غيرها، ففيها كانت البعثة المحمدية، وفي لغتها نزل القرآن ونطق الرسول.

٤- إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة، ومن بيدهم القيادة الفكرية والتربوية والإعلامية في البلاد والحكومات الإسلامية بصلاحية الإسلام وقدرته، لا على مسايرة العصر وتطوراته وتحقيق مطالبه، بل على قيادة الركب البشري إلى الغاية المثلى، وتجديف سفينة الحياة إلى بر السلام والسعادة، وإنقاذ المجتمع البشري من الانهيار والانتحار الذي تعرض لهما تحت القيادة الغربية الخرقاء.

٥- قلب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب، المنتشر السائد في العالم الإسلامي رأساً على عقب، وصوغه صوغاً إسلامياً جديداً، يتفق مع شخصية هذه الشعوب المسلمة وعقيدتها، ورسالتها، وقامتها، وقيمتها.

٦- حركة علمية قوية دولية، تعرف الطبقة المثقفة الجديدة بذخائر الإسلام العلمية وتراثه المجيد، وتنفخ في العلوم الإسلامية روحاً من جديد، وتثبت للعالم المتمدن أن الفقه الإسلامي وقانونه من أرقى القوانين وأوسعها في العالم، وهو يقوم على أساس من المبادئ الخالدة التي لن تبلى، ولن تفقد صلاحيتها في يوم من الأيام، وهي تصلح لمسايرة الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان، وتغنيها عن كل قانون وضعته أيدي الناس.

٧- الحضارة عميقة الجذور في أعماق النفس الإنسانية وفي مشاعر الأمة وأحاسيسها، وتجريد أمة عن حضارتها الخاصة -التي نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها، وكان في صياغتها نصيب كبير للذوق الديني الخاص، وطابع هذه الأمة الخاص- مرادف لعزلها عن الحياة، وتحديدها في إطار العقيدة والعبادة والطقوس الدينية الضيق، وفصل حاضرها عن ماضيها، فلا بد للحكومة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية من التخطيط المدني الإسلامي المستقل البعيد عن تقليد الغرب الأعمى، والارتجالية ومركب النقص، ولا بد من تمثيل الحضارة الإسلامية في عواصمها وفي دوائرها وفي بيوتها، وفي مجتمعاتها، وفي فنادقها ومنتزهاتها...

٨- معاملة الحضارة الغربية -بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها وطاقاتها- كمواد خام يصوغ منها قادة الفكر، وولاة الأمور في العالم الإسلامي، حضارة قوية عصرية، مؤسسة على الإيمان والأخلاق والتقوى، والرحمة والعدل في جانب، وعلى القوة والإنتاج، والرفاهية، وحب الابتكار في جانب آخر..

٩- إقناع الحكومات - في بعض البلاد الإسلامية التي مثلت دوراً رائعاً في تاريخ الدعوة والحضارة الإسلامية - المشغولة بحرب إبادة للعنصر الإسلامي، أو عملية تطوير للإسلام، وتفسيره وفق مصالحها السياسية، أو أهواء قادتها الشخصية، بأنها سياسة عقيمة لم تنجح في بلد إسلامي،

وإقناعها بتوجيه طاقاتها وإمكانياتها إلى عدو مشترك، وإلى ما يقوي البلاد والأمة.

١٠- أما بالنسبة إلى البلاد غير الإسلامية، فالقيام بالدعوة إلى الإسلام والتعريف به بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الإسلام وروح العصر، أما البلاد التي فيها الأقليات المسلمة، فالاهتمام بتمثيل الإسلام، والحياة الإسلامية تمثيلاً يلفت إليه الأنظار ويستهوي القلوب، والقيام بالقيادة الخلقية والروحية، وقبول مسؤولية إنقاذ البلاد والمجتمع من الانهيار الخلقي، والخواء الروحي، والتدهور الاجتماعي الذي تعرضت له هذه البلاد..

١١- وأخيراً لا آخراً هو ما تفرضه طبيعة الإسلام وتاريخه المجيد، وتقتضيه الفطرة السليمة ونفسية الإنسان الدائمة، والأوضاع السائدة، هو وجود حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية في العالم الإسلامي، تقترن بصفات الرجولة والطموح وعلو الهمة وبعد النظر، والقدرة على مواجهة الطاقات الرئيسية التي تملكت زمام قيادة البشرية، وأصبحت تتحكم في مصائر الشعوب والأقطار الإسلامية وغير الإسلامية - من غير حق ومبرر- وذلك بإيمان القائمين بهذه الحركة والدعوة إيماناً قوياً، وثقتهم بفضل الإسلام وحاجة البشرية إليه.

وأنهى سماحة الشيخ الندوي مقالته الرائعة المؤثرة الأخاذة بقوله تعالى: ﴿**إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾ [1].

كان لهذه المقالة وقع كبير وتأثير عظيم في المؤتمر، ولما نشرت تلقتها الأوساط الدينية والعلمية والدعوية بالقبول، واعتبروها خطة عمل الدعوة

(١) يراجع: الدعوة والدعاة (دعوة الحق)، ترشيد الصحوة الإسلامية ص٨٠-٩٣ .

الإسلامية في عصرنا الحاضر، وبدأ الإقبال الشديد في العالم الإسلامي وفي الهند خاصة، على منهج سماحة شيخنا الإمام الندوي وأسلوب دعوته. وقد طبق هذا المنهج والأسلوب فعلاً في حياته وأنشأ مدرسة أدبية دعوية أعدت جيلاً ينحو نحوه، ويحذو حذوه، ويسير على خطواته قدر ما يمكن، وقد نادى سماحة الشيخ الندوي بقوة وحكمة وعلى بصيرة وتجربة طويلة إلى حاجة العالم الإسلامي الماسة الشديدة إلى الدعوة على هذا المنهج بتخطيط وتصميم حكيم، وكتب ووجه قائلاً:

إن العالم الإسلامي في حاجة شديدة إلى دعوة إسلامية جديدة، وإن هتاف الدعاة والعاملين فيه وهدفهم اليوم «إلى الإسلام من جديد» ولا يكفي الهتاف، إنه لا بد من تصميم حكيم قبل العلم، لا بد من تفكير هادئ عميق، كيف نرد الطبقة المثقفة التي تحتكر الحياة، وتملك الزمام إلى الإسلام من جديد، وكيف نبعث فيها الإيمان والثقة بالإسلام؟ وكيف نحررها من رق الفلسفات الغربية والحضارة العصرية ونظرياتها اللادينية؟

إنه في حاجة إلى رجال ينقطعون إلى هذه الدعوة، ويكرسون عليها علمهم ومواهبهم وكفاءاتهم، ولا يطمعون في منصب أو جاه أو وظيفة أو حكومة، ولا يحملون لأحد حقداً، ينفعون ولا ينتفعون، ويعطون ولا يأخذون، ولا يزاحمون طبقة في شيء تحرص عليه وتتهالك، حتى لا تكون لها حجة عليهم ولا للشيطان سبيل إليهم، شعارهم الإخلاص والتجرد عن الشهوات والأنانيات والعصبيات.

إن العالم الإسلامي في حاجة إلى منظمات علمية تهدف إلى إنتاج الأدب الإسلامي القوي الجديد، الذي يعيد الشباب المثقف إلى الإسلام بمعناه الواسع من جديد، ويحررهم من رق الفلسفات الغربية التي آمن بها كثير منهم بوعي ودراسة، وأكثرهم بتقليد وتسليم، ويقيم في عقولهم أسس الإسلام من

جديد، ويغذي عقولهم وقلوبهم، إنه في حاجة إلى رجال في كل ناحية من نواحي عالم الإسلام عاكفين على هذا الجهاد [١].

سادتي الكرام والأدباء الإسلاميين من كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي! هذه هي نبذة يسيرة، وغيض من فيض دعوة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي ومنهجه وأسلوبه للدعوة، قد جبل عليه، وترعرع بين ظلاله الوارفة كما قلنا، ولا أزال أذكر - وكنت طفلاً في قريتي النائية من المراكز العلمية والأدبية والدينية الكبرى في الهند وكنت أقرأ في المعهد الابتدائي- أنه زارنا سماحة الشيخ حفظه الله في إحدى رحلاته الدعوية، وهو في ريعان شبابه، سألني عن اسمي وشرفني وشجعني وغمرني بكلام حلو جميل أخاذ، وأهدى إليّ كتباً للأطفال. تأثرت به كثيراً جداً، مما جعلني أتعلق بالشيخ وأسأل عنه كل غاد ورائح في قريتي، وأحسست ثم رأيت بعد فترة فيه داعية عظيماً ومصلحاً كبيراً، وعالماً جليلاً وكاتباً قديراً، وأديباً ألمعياً ومفكراً مثالياً سارت بذكره الركبان.

وبهذه السمات البارزة، والصفات الحميدة، والشمائل الدعوية النبيلة، اختير من قبل كبار الأساتذة والمسؤولين في ندوة العلماء بالهند، وهو لم يتجاوز واحداً وعشرين عاماً من عمره، لتلبية دعوة أكبر زعيم المنبوذين في الهند، وأعظم الحقوقيين الذي وضع دستور الهند، وكان أول وزير للعدل والقانون في دولة الهند بعد الاستقلال، وهو الدكتور أبيدكر، أراد أن يخرج من جور الهندوكية إلى دين يعيد طبقته إلى الإنسانية والمساواة والخير والعدل، فجاءه سماحة شيخنا، وبلغ إليه دعوة الإسلام بوضوح وجلاء، وقدم إليه ترجمة معاني القرآن الكريم وبعض الرسائل الإسلامية في اللغة الإنكليزية، ولكن الدكتور اعتنق البوذية، ولعله شعر بخطئه في هذا الاختيار في حياته،

(١) إلى الإسلام من جديد ١١-٢١٠، ردة ولا أبا بكر لها، وأدب الصحوة الإسلامية.

فكان من قدر الله الذي لا راد له ويفسر قوله ﴿**إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء**﴾، وبهذا التحمس الشديد والعاطفة القوية الجياشة للدعوة، قام بزيارات لمراكز الدين والعلم والدعوة، وانضم إلى الحركات والجماعات، وشاركها وقضى وقتاً ثميناً في الرحلات الدعوية، والوعظ والإرشاد، ونشر التعليم الصحيح القويم، والتربية والتزكية، وتبليغ دعوة الإسلام إلى المسلمين وغير المسلمين باسم رسالة الإنسانية [1]، وإنشاء مجامع وأكاديميات وأقسام للدراسات الإسلامية، وإشراف على مناهج دار العلوم لندوة العلماء وفروعها الكثيرة المنتشرة في البلاد، وتوجيهها توجيهاً علمياً وأدبياً، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية التي نحن الآن نحظى بالحضور في ندوتها الأدبية بتركيا، ولم تكن هذه الأعمال الدعوية لسماحة إمامنا حفظه الله في بلاده، وفي العالم الإسلامي وحده، بل في العالم بأسره، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، ومتعنا والمسلمين والبشرية بطول حياته بالصحة والعافية والهناء وشكراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والحمد لله رب العالمين.

(١) يراجع: في مسيرة الحياة، وأدب الصحوة الإسلامية.

مراجع

١ - أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً، الأستاذ نذر الحفيظ الندوي، رابطة الأدب الإسلامي ١٩٨٦م طبعة أولى.

٢ - أدب الصحوة الإسلامية، الأستاذ محمد واضح الندوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دمشق١٩٨٥، الطبعة الأولى.

٣ - أريد أن أتحدث إلى الإخوان، سماحة الشيخ الندوي، دار عرفات، راي بريلي١٩٨٩، الطبعة الأولى.

٤ - أسبوعان في المغرب الأقصى، سماحة الشيخ الندوي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣. طبعة أولى.

٥ - الإسلام وأثره في الحضارة، سماحة الشيخ الندوي، المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ١٩٨٥م.

٦ - اسمعوها مني صريحة أيها العرب، سماحة الشيخ الندوي، المجمع الإسلامي العلمي، لكهنؤ.

٧ - أضواء، سماحة الشيخ الندوي، المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ ١٩٩٥م.

٨ - إلى الإسلام من جديد، سماحة الشيخ أبو الحسن علي الندوي، دار الإرشاد بيروت ١٩٦٧. الطبعة الثانية.

٩ - ترشيد الصحوة الإسلامية، سماحة الشيخ الندوي، دار عرفات ١٩٨٨، الطبعة الأولى.

١٠ - حاجة العالم الإسلامي إلى مجتمع إسلامي، سماحة الشيخ الندوي، المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ١٩٩٠، الطبعة الأولى.

١١ - الدعوة إلى الله، سماحة الشيخ الندوي، المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ، ١٩٩١.

١٢- الدعوة والدعاة (كتاب الأمة دعوة الحق)، رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة.

١٣ - ردة.. ولا أبا بكر لها، سماحة الشيخ الندوي، رئاسة إدارات البحوث والإفتاء، الرياض.

١٤ - روائع من أدب الدعوة، سماحة الشيخ الندوي، المعهد العالي للدعوة، ندوة العلماء لكهنؤ.

١٥ - العرب.. والإسلام. سماحة الشيخ الندوي، المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ١٩٨٠.

١٦ - العقيدة والعبادة والسلوك، سماحة الشيخ الندوي، المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ، ١٩٨٣، طبعة ثانية.

١٧ - في مسيرة الحياة، سماحة الشيخ أبو الحسن علي الندوي، دار القلم، دمشق ١٩٨٧، الطبعة الأولى.

١٨ - قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم، سماحة الشيخ الندوي، وزارة الأوقاف، قطر، ١٩٩٥م، الطبعة الأولى.

١٩ - كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب، سماحة الشيخ الندوي، المجمع الإسلامي العلمي، لكهنؤ.

٢٠ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: سماحة الشيخ أبو الحسن علي الندوي، الطبعة السابعة، دار الكتاب العربي بيروت١٩٦٧م.

٢١ - منهج أفضل في الإصلاح، سماحة الشيخ الندوي، المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ، الطبعة الأولى.

٢٢ - نحو التربية الإسلامية الحرة، سماحة الشيخ الندوي، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٩م.

٢٣ - نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان، سماحة الشيخ الندوي، المجمع الإسلامي العلمي، لكهنؤ١٩٨٤.

obeikandl.com